المبحث الأول

الموت بين الإسلام والنصرانية واليهودية
أولًا: الموت في التصور الإسلامي

حقيقة الموت:

إن الموت حقيقة واقعة يراها البشر جميعًا أمامهم، تختلف أسبابه، ولكن حقيقته واحدة، وهي انقطاع الإنسان عن الحياة الدنيا وانتقاله إلى عالم آخر غير العالم الذي كان يعيش فيه، ويعرفه العلماء بتعريفات كثيرة [١] تدور حول انقطاع تعلق الروح بالبدن فيذكر القرطبي تعريف العلماء له بأنه **«ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته والحيلولة بينهما»** [٢].

وورد في التعريفات للسيد الجرجاني تعريف الموت بأنه **«صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة»** [٣]. ويعرفه ابن مسكويه بأنه **«ليس شيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنًا كما يترك الصانع آلاته»** [٤].

---

(١) يذهب البعض إلى تعريف الموت بأنه إماتة الشهوات، ويسمون ذلك الموت الإرادي أو الموت الروحي، ولما كان غرضنا من البحث الحديث عن الموت بمعناه البدني رأينا الاقتصار على التعريفات التي تتحدث عن الموت بمعناه المتعارف لدى الجميع وهو مفارقة الإنسان للحياة. انظر التعريفات للسيد ص ٢١١ وانظر تهذيب الأخلاق لابن مسكوية ص ١٧٧ ، وانظر المعجم الفلسفي جـ ٢ ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٢) التذكرة بأحوال الموتى والآخرة جـ ١ ص ١ للإمام القرطبي. تحقيق الدكتور أحمد حجازي - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ م.

(٣) التعريفات للسيد الجرجاني ص ٢١١ الناشر البابي الحلبي ١٩٣٨ .

(٤) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ١٧٥ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط الثانية.

obeikandl.com

ويربط الإمام الجويني بين تعلُّق الروح بالبدن وبين الحياة وبين مفارقة الروح للبدن وبين الموت، فيقول: «**والأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة متشابكة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة**»[(١)].

وإذا كانت التعريفات التي ذكرتها كلها تجمع على أن الموت معناه مفارقة الإنسان للحياة الدنيا، فإن التعريفات الطبية للموت تجمع على تلك الحقيقة، وإذا اختلفت فيما بينها على تحديد أسبابه فإنها تجمع على وقوعه للكائنات كلها، فيعرفه العلماء والمحدثون بأنه «**فقدان الجسم لفاعليته**» وبأنه «**انتهاء عملية الأجزاء التركيبية وتجمد الأنسجة العصبية**»[(٢)].

وكل هذه التعريفات تجمع على أن الموت هو توقف الحياة عن الإنسان في الدنيا ولما كان هناك وجه شبه بين النوم والموت يحسن بنا أن نشير إلى الفرق بين ظاهرتي النوم والموت.

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر :٤٢] والمقصود من الآية والله أعلم: أن الله تعالى يتوفى الأنفس عند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى لحين موتها.

ويذكر الفخر الرازي - بتحليل دقيق - الفرق بين النوم والموت - بناء على كمال تعلق النفس بالبدن - فيذكر أن - النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضَوْءُهُ في جميع الأعضاء وهو الحياة، فنقول: إنه

---

(١) الإرشاد للإمام الجويني ص ٣٧٧ تحقيق محمد يوسف موسى عبد المنعم علي . الناشر مكتبة الخانجي ١٩٥٠ .

(٢) الإسلام يتحدى ص ٧٢ - ٧٤ - للأستاذ وحيد الدين خان - الناشر مكتبة القرآن.

في وقت النوم ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه، ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع كلي والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه. وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبَّر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يقع ضوء النفس على البدن بالكلية ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة.

ثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم.

ثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت. فثبت أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفيًا للنفس، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة، ومثل هذا لا يصدر إلا عن القادر العليم الحكيم» (١).

وبهذا التوضيح يتبين أن بين الموت والنوم شبهًا من جهة أن النفس ترتفع عن ظاهر البدن في النوم، ومن هنا نجد الإنسان في النوم متخففًا من أثقال البدن (٢) وتنتقل روحه إلى عالم آخر إلى حين اليقظة فترد روحه إليه، ووجه المفارقة بين الموت والنوم أن النفس ترتفع عن البدن ظاهرًا وباطنًا عند الموت، فتتنعم إن كان الميت من الصالحين وتتعذب إن كان من الطالحين (٣).

وبعد هذه التفرقة بين ظاهرة الموت والنوم يأتي هذا التساؤل هل الموت ظاهرة تعتري البدن أو النفس؟

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا أن نبين المعاني المختلفة التي تطلق

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٦ ص ٢٨٤، وانظر روح المعاني للألوسي الجزء ٢٤ ص ٧ - ٩ ، وانظر تهافت التهافت لابن رشد ص ٨٣٣ - ٨٣٤ القسم الثاني.

(٢) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن الفرضى ٣٤٢ تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ.

(٣) سنتحدث عن هذا بالتفصيل عند الحديث عن عذاب القبر ونعيمه.

عليها النفس، بخاصة وأنه قد مرَّ بنا عند تعريفنا للموت إطلاق النفس على الروح، وترتب الموت على مفارقتها للبدن. يذكر شارح العقيدة الطحاوية وابن القيم في كتابه الروح أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة أخرى، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالبًا ما تسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، أما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، وتطلق النفس على الدم، ففي الحديث **«ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه»**، والنفس تطلق على ذات الإنسان يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور :٦١] وتطلق النفس على العين الحاسدة، يقال أصابت فلانا نفس، أي عين، أما الروح فلا تطلق على البدن لا على انفراده، ولا مع النفس، وإنما تطلق على القرآن تارة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى :٥٢] وتطلق الروح على جبريل أيضًا، يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء :١٩٣] وتطلق الروح تارة أخرى على ما يؤيد الله به أولياءه، يقول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة :٢٢] وتطلق الروح على ما هو أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه [(١)].

أما عن الموت هل يقع على البدن أم على النفس بمعنى الروح؟

فإن العلماء مختلفون في ذلك. يقول ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: «**اختلف الناس هل تموت الروح في النفس أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى:** ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن :٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء،

---

(١) انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٤٣، والروح لابن القيم ص ٥٥ .

وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لا تقطع عنها النعيم والعذاب [١].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران :١٦٩-١٧٠] هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وذاقت الموت» [٢]. ونحن نرجح أن النفس بمعنى الروح باقية وأنها لا تفنى ولا تعدم.

وبعد أن بيّنا هذه الأمور بالنسبة للفرق بين النوم والموت، وهل الموت ظاهرة تعتري البدن أو النفس، وأوضحنا معنى موت النفس الذي ذكره الله في القرآن، نذكر عدة حقائق ركّز عليها القرآن بالنسبة للموت، منها:

أولاً: الموت عام لكل البشر:

يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة :٦٠-٦١] يقول ابن كثير: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة :٦٠] أي صرفناه بينكم»، وقال الضحاك: «**ساوى فيه بين أهل السماء والأرض**» [٣].

ويقول عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء :٧٨] وهذه الآية تعني أن الناس جميعًا صائرون إلى الموت لا محالة، ولا ينجو منه أحد كائنًا من كان، حتى رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء :٣٤]

---

(١) من هؤلاء ابن رشد الفيلسوف – انظر تهافت التهافت ص ٨٣٣ – ٨٣٤ القسم الثاني تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا – دار المعارف – الطبعة الثانية.

(٢) الروح لابن القيم ص ٥٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٩٥ طبعة عيسى الحلبي.

والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء فالكل له أجل مُحتَّم.

والله عز وجل حين يقرر في القرآن الكريم أن الموت لا بد وأن تذوقه كل نفس ولا بد أن يقع على الجميع لا يقدم سببًا لذلك سوى أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت وأن الموت مقدر على كل نفس سواه عز وجل.

هذا الذي يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون غير ما يذهب إليه النصارى من أن **«موت الإنسان كان نتيجة من نتائج السقوط في الخطية، وأن الإنسان حين يرتضى نعمة الله لا يحفظه شيء من الموت»** (١).

ويستدل أحد علماء النصارى على عقيدة النصارى في ترتب الموت على الخطية بفقرة في سفر التكوين تقول: **«إن آدم أبعد عن شجرة الحياة التي كانت تجعله خالدًا، أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، ويعتبر أن الموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا وصنعه على صورة ذاته»** (٢).

ثانيًا: الموت والحياة بأمر الله وحده:

يقرر القرآن الكريم أن الموت لا يقع إلا بأمر الله. يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران :١٥٦].

أي أن الله بيده الخلق، وإليه يُرجع الأمر كله، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمره ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ﴾ [ق :٤٣].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: **«إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته. وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم، ثم يبعثهم كلهم ليوم**

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ تأليف كوستلى يندلى وآخرين منشورات النور بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ٩٣، ٢٧٩ – وسوف نناقش النصارى في عقيدتهم تلك عند الحديث عن العلاقة بين الموت والخطيئة في مفهوم النصارى.

obeikandl.com

الجمع» [١].

وفي القرآن الكريم آيات كثير جدًّا توضح وتبين أن الموت بيد الله وحده، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [المؤمنون :٨٠] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر :٦٨]. كل هذه الآيات تؤكد أن الموت والحياة بيد الله وحده، وليس لبشر أيًّا كانت قدرته على موت أحد إلا بإذن الله وحده، والذي يذكره القرآن الكريم ويعتقده المسلمون بخلاف ما عليه النصارى، إذ يعتقدون أن الموت ليس من صنع الله، ولا يسره هلاك الأحياء» [٢].

وقد ورد في القرآن الكريم إضافة التوفي إلى الله تارة، وإلى الملائكة تارة، وإلى ملك الموت تارة أخرى، فكيف يوفق بين هذه الآيات وبين ما يؤكد عليه القرآن الكريم من أن الموت بيد الله وحده؟ يقول القرطبي: **«إن قال قائل: كيف الجمع بين هذه الآي، وكيف يقبض ملك الموت في زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم تدع منه شيئًا، فتارة يضاف لملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة أخرى إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا، وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل:** ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر :٤٢] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الحج :٦٦] وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ [الملك :٢] فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره» [٣]. وبهذا يزول ما يظن أنه تعارض بين آيات القرآن بعضها والبعض الآخر، ويثبت أن الموت بأمر الله وحده، وأن الذين أضيف إليهم التوفي من الملائكة أو ملك الموت فإنهم يتصرفون بأمر الله القادر على الموت وحده.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٤٩ .

(٢) انظر مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٣) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٨٤ - ٨٥ وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٩ .

ثالثًا: أن لكل نفس أجلا معلومًا:

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] وأن ذلك الأجل المقدَّر لكل إنسان لا يعلم زمانه ولا مكانه إلا الله وحده.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤] يقول ابن كثير: «**أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو بر أو سهل أو جبل**» (١) ويروي حديثًا عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة**» (٢).

والقرآن الكريم وهو يتحدث عن الموت لا يذكر شيئًا عن الأشياء التي تسبب الموت ولكنه يصور عجز البشر عن رد الحياة لإنسان أراد الله له الموت. يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧]، وهذه الآية تصور عجز البشر التام عن رد الحياة لإنسان قدّر الله له الموت. فالجميع من حوله وهم يعلمون أنه يحتضر، ولكن لا يملكون أن يردوا النفس بعد أن بلغت الحلقوم إلى مكانها الذي لا يعلمه إلا الله وهي من أبلغ الآيات التي يتحدى الله بها البشر على قدرته وتصرفه في خلقه.

وهنا نتطرق إلى مبحثٍ من الفائدة أن نذكره هنا ونحن نتحدث عن الأجل المعلوم الذي قدره الله لكل إنسان.

المقتول هل هو ميت بأجله أم لا؟

يرى أهل السنة أن كل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه أزلًا بخلقه تعالى من غير مدخليّه للقاتل فيه، وإنما

(١) ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٥ .

(٢) نفسه جـ ٣ ص ٤٥٦ .

obeikandl.com

القصاص يجب على القاتل للكسب. وعند أهل السنة أن المقتول لو لم يقتل لجاز في ذلك الوقت أن يموت وأن لا يموت فيه، لأنه لا اطلاع لنا على ما في علم الله.

يقول إمام الحرمين في الإرشاد: «إن كل من يقتل فقد مات بأجله، والمعنى بذلك أن الذي قُتل عَلِم الله تعالى في أزله مآل أمره، وما علم أنه كائن فلا بد أن يكون، فإن من علم الله تعالى أنه يقتل فإنه يقتل لا محالة، فإن قدَّر مقدِّر عدم القتل وقدر معه أن يكون المعلوم أنه لا يقتل فلا يمكن مع هذا التقرير القطع بامتداد العمر ولا القطع بالموت في وقت القتل بدلاً منه، بل كل جائز عقلا لا يمتنع تقديره، فهذا ما لا يسوغ غيره، وقد شهدت آي من كتاب الله تعالى على أن كل هالك مستوف أجله، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]»[١] وما ذهب إليه إمام الحرمين يؤكده الغزالي بقوله: «**إن من قتل ينبغي أن يقال إنه مات بأجله؛ لأن الأجل عبارة عن الوقت الذي خلق الله تعالى فيه موته، سواء كان معه ضرر فيه أو كسوف قمر أو نزول مطر، لأن كل هذه عندنا مقترنات وليست مؤثرات**»[٢].

والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يرى: «أن من مات حتف أنفه مات بأجله، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضًا، ولا خلاف في هذا، والدليل عليه أن الأجل ليس المراد به هنا إلا وقت الموت، وهما قد ماتا جميعًا في وقت موتهما»[٣].

وبهذا يتبين أنه ليس خلاف بين القاضي عبد الجبار في هذه المسألة وبين أهل السنة وإنما الخلاف بين القاضي عبد الجبار وبين بعض شيوخ المعتزلة - وبين بعض شيوخ المعتزلة وأهل السنة في أنه لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟.

---

(١) انظر الإرشاد ص ٣٦٢ - ٣٦٣ بتصرف وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١٨٧ - الناشر مكتبة الجندي.

(٣) الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار ص ٧٨٢ - الناشر مكتبة وهبة.

يقول القاضي عبد الجبار: «**الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون؟ فعند شيخنا أبي الهذيل أنه كان يموت قطعًا لولاه، وإلا يكون القاتل قاطعًا لأجله، وذلك غير ممكن، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعًا**» (١).

ثم يبين القاضي عبد الجبار رأي جمهور المعتزلة (٢) في تلك المسألة بقوله: «**والذي عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت، ولا يقطع على واحد من الأمرين، فليس إلا التجويز**» (٣) ويُفنّد صاحب الأصول الخمسة ما ذهب إليه أبو الهذيل بقوله: «**وأما ما قاله أبو الهذيل فليس يصح، لأن ذلك الأجل الذي لو لم يقتل فيه لبقى إليه أجل غير محقق، فكيف يلزم أن يكون قاطعًا لأجله**» (٤).

ويستدل أهل السنة بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران :١٥٨]. فإن المقتول ميت بأجله، والمعنى «**ولئن متم من غير سبب أو قتلتم بسبب لإلى الله تحشرون**» (٥).

ويستدلون أيضًا بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران :١٨٥] على أن المقتول يسمى بالميت (٦). وبعد عرضنا للأدلة يتبين لنا أن ما ذهب إليه أهل السنة هو الحق، وأن الكثرة من المعتزلة يذهبون إلى أن المقتول ميت بأجله، ولا يجزمون برأي فيما لو فرض عدم موت المقتول حين القتل، كما ذهب إلى ذلك أهل السنة، وأن من شذ من المعتزلة فقد كفانا القاضي عبد الجبار مؤنة الرد عليهم وتفنيد أدلتهم.

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٨٨٢ الناشر مكتبة وهبة.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري جـ ١ ص ٣٢٢، يذهب الأشعري إلى أن أكثر المعتزلة على أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله وإذا مات مات بأجله.

(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٨٣ .

(٤) نفسه ص ٧٨٣ .

(٥) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٠١ .

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٩ ص ١٢٥ .

obeikandl.com

رابعا: حال المؤمنين والكافرين ساعة الاحتضار والمآل الذي يصيرون إليه:

يصور القرآن الكريم حالة المؤمن وحالة الكافر عند خروج الروح أثناء الموت، فالروح والريحان للمؤمن. يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة :٨٨-٩١] وهذه الآية تبين حالة المؤمن عند خروج الروح. والمآل الذي يصير إليه إن كان من المقربين أو كان من أصحاب اليمين.

والحميم والجحيم للكافر المكذب. يقول الله تعالى عن الميت ساعة خروج روحه: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة :٩٢-٩٤]. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال :٥٠] ونفس المصير يتعرض له الظالمون عند خروج الروح. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام :٩٣].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: **«إن الكافر إذا احتضر بَشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم»** [(١)].

وكما رأينا فإن القرآن الكريم يذكر عن الموت حقائق أساسية؛ لئلا يضل الإنسان، ولأن الموت بداية لرحلة طويلة يقطعها الإنسان في عالم آخر يختلف عن الدنيا، ومن هنا كثرت الإشارة إليه على النحو الذي ذكرنا.

ولأهمية الموت وما يقع بعده حث الرسول ﷺ المسلمين على تذكره والعمل

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٠٧ .

لما بعده باعتبار أنه أمر لا مفر منه وأن تذكره يحفز للعمل لما بعده.

روى النسائي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكثروا ذكر هاذم اللذات»** (١) ويفسر القرطبي في تذكرته هاذم اللذات فيقول: **«يعني الموت»** (٢).

وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فجاء رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: **«أحسنهم خلقًا»** قال: أي المؤمنين أكيس؟ قال: **«أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا أولئك الأكياس»** (٣).

وهكذا نرى اهتمام الرسول ﷺ والقرآن الكريم بالموت والحث على ذكره والعمل لما بعده.

ولعلماء الإسلام استنباطات قيمة من القرآن الكريم في أمر الموت، ما بين معتبر إياه نعمة كبرى من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وما بين واقف عند بعض ألفاظ القرآن الكريم التي تعتبره مصيبة، وعلى كل الأحوال فهو **«مصيبة يصاب بها الإنسان، ولا يقدر أن يدفعها عن نفسه، ولا أن يدفعها أحد عنه، وهو مع ذلك نعمة كبرى إذا كان قنطرة يعبر عليها الإنسان الصالح إلى الجنة»** يقول القرطبي في التذكرة: **«وهو - أي الموت - من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: ١٠٦]** فالموت هو المصيبة الكبرى والرزية العظمى» (٤) هكذا يراه القرطبي، وهو يقف في نظرته تلك عند حدود ألفاظ القرآن الكريم التي تصف الموت بأنه مصيبة، ولكن الراغب الأصفهاني في كتابه **«تفصيل النشأتين»** ينظر إلى الموت على أنه نعمة أنعم الله بها على الإنسان، يقول عن الموت «فالموت باب من أبواب الجنة، منه يتوصل إليها، ولو لم يكن موت لم تكن جنة، ولذلك منَّ الله

(١) رواه النسائي جـ ٤ ص ٤ الناشر دار الفكر بيروت - الطبعة الأولى.

(٢) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ١٤ .

(٣) رواه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٢٣ - الناشر دار الفكر الحديث.

(٤) التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٣ بتصرف يسير جدًا.

به على الإنسان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] فقدم الموت على الحياة تنبيها على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية، وعدّه علينا نعمة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨]، فجعل الموت إنعامًا، لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت فالموت نعمة، لأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة.

وعلى هذا نبه الله تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٤-١٦] فنبه على أن هذه التغيرات خلق أحسن» [١].

والذي ذهب إليه الراغب الأصفهاني يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه، فقد دعا الرسول ﷺ أمته أن يدعو الواحد منهم ربه بهذا الدعاء الذي رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»** [٢].

وأيضًا اعتبر رسول الله ﷺ أن الموت خير للمؤمن من الفتن.

روى الإمام أحمد بسنده عن محمود بن لبيد مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: **«اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»** [٣].

والإمام الغزالي ينظر إلى الموت لا باعتباره هو، ولكن باعتبار الشخص الذي يقع عليه الموت يقول في كتابه **«ميزان العمل»**:

---

(١) تفصيل النشأتين ص ٦١ للراغب الأصفهاني نقلاً عن الله والإنسان ص ٢١٩ للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.

(٢) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٠٥، ١٠٦ - طبعة عيسى الحلبي.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٤٢٧ - الناشر دار الفكر العربي.

الناس عنده - أي الموت - ثلاثة أقسام:

الأول: ذو بصيرة علم أن الموت يعتقه والحياة تسترقه، وأن الإنسان وإن طال في الدنيا مكثه فهو كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثم عادت للاختفاء، فلا يثقل عليه الخروج من الدنيا إلا بقدر ما يفوت من خدمة ربه عز وجل، والازدياد من تقربه، والإشفاق مما يقول أو يقال له، كما قال بعضهم لما قيل له: لم تجزع؟ قال: لأني أسلك طريقا لم أعهده وأقدم على رب لم أره، ولا أدري ما أقول وما يقال لي. ومثل هذا الشخص لا ينفر من الموت» (١) فهذا الشخص في نظر الإمام الغزالي لا ينفر من الموت بل أكثر من ذلك أنه «**إذا عجز عن زيادة العبادة ربما اشتاق إليه**» (٢).

الثاني: رجل رديء البصيرة، متلطخ السريرة، منهمك في الدنيا، منغمس في علائقها، رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها، ويئس من الدار الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، فإذا خرج إلى دار الخلود أضرَّ به - أي الموت - كما تضر رياح الورد بالجعل (٣). وإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلا ومصباح الملأ الأعلى، فكان كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء :٧٢].

الثالث: رتبة بين رتبتين. رجل عرف غوائل هذا العالم، وكره صحبته، ولكنه أنس به وألفه، فسبيله سبيل من ألف بيتا مظلمًا قذرًا ولم يرَ غيره، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره دخوله، فإذا خرج ورأى ما أعد الله للصالحين لم يتأسف على ما كره فواته، بل قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥] » (٤)، بهذه النظرة الثاقبة استطاع «**الإمام الغزالي**» أن

---

(١) ميزان العمل ص ١٦٣ للإمام الغزالي - الناشر مكتبة الجندي.

(٢) نفسه.

(٣) الجعل - حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية. المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٢٦ .

(٤) انظر ميزان العمل ص ١٦٣ - ١٦٤ .

يبين موقف الشخص بالنسبة للموت، فهو نعمة عظمى للرجل الصالح [١] لأنه يوصله إلى النعيم، وهو مصيبة كبرى للرجل الطالح لأنه يوصله إلى الجحيم.

ومما تجدر الإشارة إليه سريعًا أن العلم الحديث بالرغم من تقدمه الهائل لا يستطيع أن يقدم تفسيرًا لحدوث الموت، ولا يستطيع أيضًا أن يرد الموت عن إنسان أراد الله له الموت، يقول الأستاذ وحيد الدين خان: **«إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني - الآخرة - يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالمًا أبديًا لأفراحهم، ولذلك بحثوا كثيرًا عن أسباب الموت؛ حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب من أجل تخليد الحياة، ولكنهم أخفقوا إخفاقًا ذريعًا. وكلما بحثوا في هذا لموضوع رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت وأنه لا مناص منه»** [٢].

غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه:

من الأمور التي تترتب على الموت في التصور الإسلامي: غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه.

يقول البغدادي في أصول الدين: **«للأموات ثلاثة أحكام، منها حكم الكفن والمؤونة والغسل والدفن، فأما حكم الكفن والمؤونة والغسل فإنه أول ما يبدأ به من رأس مال الميت قبل الديون والوصايا»** [٣].

وغسل الميت واجب عند الجمهور، يقول ابن حجر في الفتح: **«الجمهور على وجوبه، وقد رد ابن العربي على من لم يقل بذلك، وقد توارد به القول والعمل وغُسِّل الطاهرُ المطهَّر فكيف بمن سواه»** [٤].

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٧٩ - ٨٠ للأستاذ / وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الإسلام خان، وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٣ للدكتور/ عبد الغني عبود.

(٢) الإسلام يتحدى ص ٧٩ - ٨٠ للأستاذ/ وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، وانظر اليوم الآخر والحياة المعاصرة ص ٦٢ د. عبد الغني عبود.

(٣) أصول الدين للبغدادي ص ٢٠٠ - الطبعة الثالثة ١٩٨١ دار الكتب العلمية.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ٣ ص ٩٧ دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثانية ١٩٨١ .

obeikandl.com

والدليل عليه ما رواه البخاري عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك – إن رأيتن ذلك – بماء وسدرٍ؛ واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فَآذِنَّني»** فلما فرغنا آذناه، فأعطانا حقوه، فقال أشعرنها إياه». يعني إزاره (١).

والحديث يدل على وجوب الغسل للميت واستحباب تطييب الماء الذي يغسل به الميت. قال في الفتح: **«وظاهره جعل الكافور في الماء، وبه قال الجمهور، وقال النخعي والكوفيون إنما يجعل في الحنوط، أي بعد انتهاء الغسل والتجفيف. قيل: الحكمة في الكافور مع كونه يطيب رائحة الموضع لأجل من يحضر من الملائكة وغيرهم، أن فيه تجفيفًا وتبريدًا وقوة نفوذ وخاصية في تصليب بدن الميت وطرد الهوام عنه، وردع ما يتحلل من الفضلات، ومنع إسراع الفساد إليه، وهو أقوى الأرابيح الطيبة، ويجزئ كل رائحة طيبة غير الكافور»** (٢) وقوله ﷺ **«أشعرنها إياه»** أي اجعلن الإزار شعارها أي الثوب الذي يلي جسدها.

ويستحب المسارعة إلى تجهيز الميت إذا تيقن موته لأنه أصون له وأحفظ أن يتغير. قال الإمام أحمد: كرامة الميت تعجيله لما رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال: **«إني لأرى طلحة... وقد حدث فيه الموت، فآذنوني به وعجلوا فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله»** قال صاحب المغني: **«ولا بأس أن ينتظر بها مقدار ما يجتمع لها جماعة لِمَا يؤمل من الدعاء له إذا صلى عليه ما لم يخف عليه أو يشق على الناس»** (٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتا (٤). قال ابن

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٣ ص ٩٩، ١٠٠، ١٠١.

(٢) انظر فتح الباري جـ ٣ ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) المغنى لابن قدامة أبي عبد الله بن أحمد بن قدامة جـ ٢ ص ٤٥٢ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤) بعكس ما نجد عند اليهود إذ يعتبرون أن الميت نجس وسنتعرض لهذا عند الحديث عن غسل الميت عند اليهود.

عباس رضي الله عنهما: **«المسلم لا ينجس حيًا ولا ميتًا»** وقال سعد: **«لو كان نجسًا ما مسسته»** (١).

وهذا النفي ينفي عن المؤمن كونه نجسًا حقيقة ومجازًا.

تكفين الميت:

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف، ليس فيهن قميص ولا عمامة (٢) ووجه الاستدلال بالحديث أن الله لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل، والثلاثة الأثواب ليست شرطًا في صحة الكفن، وإنما يستحب ذلك، وهذا ما عليه الجمهور (٣)، ويجزئ ثوب واحد.

الصلاة على الميت:

أما الصلاة على الميت فقد فعلها الرسول ﷺ وحث عليها.

روى البخاري بسنده، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فصلوا عليه، فصففنا، فصلى النبي ﷺ ونحن صفوف»** (٤).

وقد استدل الفقهاء بهذا الحديث على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد، قال بذلك الشافعي وأحمد وجمهور السلف، حتى قال ابن حزم: **«لم يأت عن أحد من الصحابة منعه»** (٥).

وحث الرسول ﷺ على اتباع الجنائز والصلاة عليها. روى البخاري بسنده عن

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ٩٨، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٠٥ .

(٣) نفسه.

(٤) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٤٦ .

(٥) فتح الباري جـ ٣ ص ٤٦ .

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد جنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»** [(١)].

وهذا الحديث فيه بيان رأفة النبي ﷺ ورحمته بأمته إذ إن شهود الجنازة والصلاة على الميت فيه ثواب وأجر للحي الذي يقوم بذلك، وأيضًا رحمة بالميت، إذ كلما كثر الذين يصلون عليه كان ذلك رحمة به، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

ثانيًا: الموت في التصور النصراني

يقسم النصارى الموت إلى قسمين: الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله.

ورد في قاموس الكتاب تحت مادة الموت ما نصه: **«الموت ينقسم إلى: ما يصيب الجسد فقط دون النفس وإلى ما يصيبهما معًا»** [(٢)] وورد في إنجيل «متى»: **«لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا - بالحرى - من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم»** [(٣)] وسوف نقتصر في بحثنا هنا على الموت بمعناه الجسدي، لأنه المقصود في البحث ويعرف الموت الجسدي عند النصارى بأنه **«انفصال النفس عن الجسد، وعودة الجسد إلى التراب متحللًا إلى عناصره البسيطة»** [(٤)]. ويعبر عن هذا الموت الجسدي للإنسان بتعبيرات مختلفة في العهدين القديم والجديد أوردها علم اللاهوت النظامي. يعبر عن موت الإنسان الجسدي في الكتاب المقدس بالانضمام إلى قومه [(٥)]، وبالذهاب في

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٥٤ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٩ تأليف لجنة من اللاهوت - الطبعة السادسة ٨١ .
(٣) إنجيل متى ١٠ - ٢٨ .
(٤) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٥٨ - تأليف القس. فايز فارس - الناشر دار الثقافة - الطبعة الأولى.
(٥) سفر التثنية ٣٢: ٥ .

طــرق الأرض كلها [١]، وبالانضمام إلى آبائه [٢]، ويرجع التراب إلى الأرض، وبالنوم [٣]، وبالموت [٤]، وبنقض بيت خيمتنا الأرضي عند السرب [٥]، وبالرقاد بيسوع [٦]، وبالانحلال [٧] وبالنزول إلى القبر [٨].

والموت الجسدي عند النصارى مترتب على خطيئة آدم **«لابد من الموت لكل إنسان لأن آدم الإنسان الأول سقط في الخطيئة»** [٩].

وورد في رسالة رومية هذا المعنى، وهو ترتب الموت على خطيئة آدم عليه السلام، لأن الجميع معه، **«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع»** [١٠].

مما سبق يتبين لنا أن الموت الجسدي سببه خطيئة آدم التي ورثها الناس عنه. يقول صاحب **«مدخل إلى العقيدة المسيحية»: «لقد كانت نعم الله تكتنف الإنسان وتحفظه من الأمراض والموت، أما وقد رفض هذه النعمة وتعرى عنها، فلم يعد شيء يحفظه من الانحلال الذي تؤول إليه طبيعته إذا تركت وشأنها، هذا ما عبر عنه الكتاب المقدس بقوله: «إن آدم أبعد شجرة الحياة التي كانت تجعله خالدًا»** [١١] أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، وبهذا المعنى قال الله لآدم: **«تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود»** [١٢]. ويواصل المؤلف استدلاله على

---

(١) القضاء: ٢: ١ .
(٢) جامعة ١٢ - ٧ .
(٣) يوحنا: ١١ : ١١ .
(٤) رسالة كورنفوس الثانية ٥: ١ .
(٥) كورنفوس الثانية: ٥: ٩ .
(٦) رسالة تسالونيكي ٤ : ١٤ .
(٧) رسالة تيما شاوس الثانية ٤: ٦ .
(٨) علم اللاهوت النظامي - لجنة من القساوسة ص ١١٦٧ - الناشر دار الثقافة المسيحية.
(٩) إيماننا الحي ص ٥٠٧ - ٥٠٨ تأليف الأب درويير كليمان اليسوعي. الأب أدمون تارزجي اليسوعي - الناشر دار المعارف ١٩٦١ .
(١٠) رسالة رومية ٥: ١٢، وانظر أيضًا ٩: ٢٧: ٢٨، يوحنا ٨: ٢١ ، ٢٤. يوحنا : ١٩: ٧- ٨، يعقوب: ١-١٥ .
(١١) سفر التكوين: ٣: ٢٢ .
(١٢) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٩٣ وسفر التكوين ٣: ١٩ .

أن الموت ليس من صنع الله فيقول: **«فالموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالدًا، وصنعه على صورة ذاته، وكذلك ليس الموت من صنع الله ولا يسره هلاك الأحياء»** (١). وواضح من النص الذي نقلته عن صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية أنه يعتبر أن الإنسان خالد، وأن آدم لو لم يخطئ لما مات ومات البشر من بعده، ويعتبر أن الموت ليس من صنع الله، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورة ذاته خالدًا أيضًا، والمحور الذي ترتكز عليه العقيدة النصرانية في الموت: خطيئة آدم عليه السلام وترتب الموت لآدم وللبشر من بعده عليها، وهذه المعاني تفيض بها الأناجيل وأعمال الرسل، ورد في رسالة يومية: **«لأن أجرة الخطية هو موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا»** (٢).

وورد في رسالة كورنثوس الأولى: **«أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس»** (٣) ويفسر صاحب الكنز الجليل النص السابق بقوله: **«أما شوكة الموت فهي الخطيئة، لولا الخطيئة لم يكن للموت قوة على الإيذاء»** (٤).

النصوص السابقة والتي يقوم عليها اعتقاد النصارى تذهب إلى أن سبب الموت الخطيئة، وهنا نجد اختلافًا جوهريًا بين التصور الإسلامي للموت والتصور النصراني، فالقرآن الكريم لا يقدم سببًا للموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **[القصص: ٨٨]**.

والتساؤل الذي نطرحه هنا للنصارى بعد استعراضنا للنصوص التي تربط بين الموت والخطيئة هو: ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر من بعده؟ وهل لو لم يخطئ آدم لكتب للبشر الخلود من بعده وامتنع عنهم الموت؟ هكذا يذهب

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحية ص ٢٧٩ .
(٢) رسالة رومية: ٦: ٢٣ .
(٣) كورنثوس الأولى: ١٥- ٥٦ .
(٤) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ص ٣٠٤ جـ ٦ .

obeikandi.com

صاحب مدخل إلى العقيدة المسيحية، والنصوص التي أوردناها تثبت ذلك، بل إن ميخائيل مينا يصرح بذلك بقوله: **«لو لم يخطئ آدم لما مات، ولما كنا نحن أيضًا نموت، بل نحيا حياة سعيدة على الأرض، وأسعد منها بغير قياس في السماء»** [١]، والذي ذهب إليه ميخائيل مينا وغيره من النصارى مخالف للفطرة ولسنن الله في الكون، ونحن نفترض هنا أن آدم أخطأ، فالعقل يقول إنه هو الذي يتحمل نتيجة ذلك الخطأ، إن ملابسي إذا علق بها بعض القاذورات، فلا يزيل هذه القاذورات غسل ملابس غيري، وإنما ملابسي أنا، وعلى فرض أن البشر ورثوا هذا الخطأ عن آدم [٢]، فالنصارى تعتقد أن المسيح جاء ليتحمل الأخطاء عن البشر، والنتيجة المنطقية أن يرفع المسيح الموت عن الناس، ما دام قد تحمل خطاياهم التي تسبب الموت لهم. وهنا نرى الاضطراب الواضح لدى النصارى حين يرتبون الموت على الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام كما يزعمون.

ونحن نعتقد أن الإنسان لا يتحمل أوزار غيره قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام :١٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم :٣٩].

ونعتقد أيضًا أن آدم تاب فتاب الله عليه. يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة :٣٧]، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ويصل الأمر إلى أبعد من ذلك عند النصارى في فهمهم للموت وعلاقته بالسيد المسيح يقول الأنبا يؤانس عن الموت: **«إنه ليس هو النهاية أو الخاتمة، إنما هو نهاية رحلة مؤلمة من مراحل حياة الإنسان في عالم الشقاء والتعب، كما أنه بداية لحياة أبدية سعيدة لا تنتهي، فالسيد المسيح له المجد، ذاق الموت بإرادته فحوله إلى حياة»** [٣].

---

(١) علم اللاهوت – ميخائيل مينا جـ ٢ ص ٢٨٤ .

(٢) نقول هذا مجاراة للخصم.

(٣) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٤ .

ونحن نتساءل هنا تعليقًا على كلام الأنبا يؤانس: إذا كان المسيح قد ذاق الموت بإرادته فحوّله إلى حياة، فلماذا صرخ حين الموت وهو على الصليب [١] على حد تعبير إنجيل «متى» فقد ورد فيه ما نصه: **«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا: إيلي إيلي لماذا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقوم من الواقفين هناك لمّا سمعوا قالوا: إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ سفنجة وملأها خلًا، وجعلها على قصبة وسقاه، وأما الباقون فقالوا: اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلصه، فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح»** [٢].

هذه الصورة التي يرسمها لنا إنجيل متى للسيد المسيح وهو على الصليب لا تتناسب مع كون المسيح إلهًا ولا ابنًا للإله كما يزعم النصارى، وإذا كان المسيح قد حول الموت إلى حياة فلماذا صرخ واستغاث، وإذا كان قد أخذه **«على عاتقه بطاعة كاملة ومحبة متناهية»** [٣] كما يقول صاحب كتاب **«إيماننا الحي»**، فلماذا استنكر أن يترك للموت وينادي مستغيثًا ومعترضًا على ما فعل به: لماذا شبقتني، كل هذه المتناقضات تبطل اعتقاد النصارى في أن الخطيئة هي سبب الموت، وأن المسيح قد حول الموت إلى حياة، ولست في مجال مناقشة النصارى في ميراث البشر لخطيئة آدم، ولا لتحمل المسيح هذه الخطايا عن البشر [٤]. والذي أوردناه عن النصارى في تصورهم للموت وأسبابه تختلف تمامًا عن الموت في الإسلام وما يعتقده المسلمون من أن الموت بيد الله وحده وليست له أسباب سوى أن الله وحده هو الحي الذي لا يموت، إلا أننا نجد عند النصارى بعض الأشياء الخاصة

---

(١) نقول هذا مجاراة للخصم فيما يعتقد إذ إننا نعتقد أن المسيح لم يقتل ولم يصلب قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٧].

(٢) متى: ٢٧: ٤٧ : ٥٠ .

(٣) إيماننا الحي ص ٥٠٧ لرديير كليمان اليسوعي.

(٤) انظر بالتفصيل هذا الموضوع في «الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه» رسالة ماجستير للباحث أحمد عجينة - مكتبة كلية أصول الدين بطنطا - الفصل الخامس الخاص بموقف الإسلام من تحمل الإنسان لأوزار غيره من ص ٥٩٥ - ٦٢٢ .

بالموت والتي تتفق مع التصور الإسلامي عنها:

أولاً: الموت عام لجميع البشر:

يقول الأنبا يؤانس: «**فالموت يشمل جميع البشر، حتى إن المرتل يتسائل في تعجب «أي إنسان يحيا ولا يرى الموت»**»[١]، ونفس المعنى يؤكده بولس بقوله «**وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة**»[٢].

ثانيًا: أن وقت الموت غير معلوم:

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: «**ولا نعلم متى ولا أين ولا كيف يباغتنا الموت؟ ولكنا نعرف يقينًا أننا إذا متنا أبناء لله نخلص**»[٣].

وعند النصارى أن الموت يأتي بغتة، ولا يعلم أحد زمانه ولا مكانه، وعندهم أن الموت يأتي في وقت لا يتوقعه الإنسان، يقول الأب ميشيل ميتيم: «**والموت يأتي كالسارق في ساعة لا نظنها، وقد نبهنا إلى ذلك يسوع حين قال: «والقوات التي في السماوات تتزعزع وحينئذ ينصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد**»[٤]. وهذا النص يستدل به عند النصارى على عدم علم أحد بالقيامة، ولا أدري لماذا استدل به المؤلف على عدم تحديد ساعة الموت. اللهم إلا إذا كان يقصد بالقيامة الموت.

ولا تقدم الأناجيل صورة مفصلة عن خروج روح الميت ومآله كما قدم القرآن الكريم كل ما ذكره إنجيل لوقا: أن الصالح تحمل روحه الملائكة إلى السماء، وأن الفاسد تهوى روحه إلى الهاوية في العذاب. يقول لوقا في إنجيله عن الفقير المسكين والغني المتكبر: «**فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن**

---

(١) المزمور: ٨٩ : ٤٨ .

(٢) السماء للأنبا يؤانس ٩٤ .

(٣) إيماننا الحي ص ٥٠٨ .

(٤) شرح التعليم المسيحي جـ ١ ص ٢٢ تأليف الأب ميشيل متيم مطبعة الإحسان حلب ١٩٥٢ .

إبراهيم، ومات الغني أيضًا ودفن فرفع عينه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه» (١).

غسل الميت وتكفينه ودفنه والصلاة عليه عند النصارى:

من الأمور التي يتفق فيها التصور النصراني مع التصور الإسلامي بالنسبة للميت الغسل والتكفين والدفن والصلاة عليه.

يقول صاحب كتاب إيماننا الحي: **«إن جسد المسيحي هيكل للروح القدس، فهو خادم للرب، ومصيره أن يقوم مجدًا في اليوم الأخير، وبالتالي يجب أن يحاط جسد المسيحي أيضًا بالاحترام بعد موته، والكنيسة تكرمه بإقامة مراسم الجنازة ودفنه في أرض مباركة»** (٢). ولا شك أن هناك اختلافًا بين النصارى والمسلمين في طريقة الغسل والدفن والصلاة والتكفين» (٣).

ثالثًا: الموت في التصور اليهودي

يؤكد العهد القديم عدة أمور للموت منها:

أولاً: الموت عام لجميع البشر:

ورد في سفر أيوب ما نصه **«يسلم الروح كل بشر جميعًا ويعود الإنسان إلى التراب»** (٤) ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص **«بأن الله إذا ترك الإنسان لحظة واحدة بدون عناية، فإن الإنسان يعود إلى التراب، ويستنتج من هذا بأن وجود الإنسان حيا ودوام الخير بما يثبت وجود الله»** (٥) أي أن عناية الله بالإنسان هي

---

(١) لوقا: ١٦-٣٢ في مقابلة للباحث مع الأنبا غريقريوس أسقف عام الدراسات العليا بالكنيسة القبطية، لم يشر إلا إلى ذلك النص في الاستدلال على خروج روح الصالح والطالح - من النصارى.

(٢) إيماننا الحي ص ٥١٨ .

(٣) يكفن النصراني في ملابس جديدة وهي الملابس التي كان الميت يلبسها عادة في حياته بشرط أن تكون جديدة، أخذت تلك المعلومة شفهيًا من الأنبا غريقريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية.

(٤) سفر أيوب: ١٥- ٣٤ .

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢٤٧ .

التي تضمن له الحياة وإذا لم يعتن الله بالبشر فإنهم يموتون جميعًا، وهو تفسير معوج إذ إن عناية الله بالإنسان حيًا وميتًا، ورد في المزامير: **«أي إنسان يحيا ولا يرى الموت أي ينجي نفسه من يد الهاوية»** (١) **«لأنك أنت حصني في يدك أستودع روحي»** (٢).

هذه النصوص تثبت أن الجميع سوف يموتون ولن يهرب أحد من الموت، وعذرنا عدم كتابة النصوص عن الموت لأن العهد القديم يصب اهتمامه على الحياة الدنيا فقط.

ثانيًا: أن الموت له أجل معلوم ووقت محدد:

ورد في سفر الجامعة **«لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت، للولادة وقت وللموت وقت، ولقلع المغروس وقت، وللقتل وقت، وللشفاء وقت، وللبناء وقت»** (٣)، هذا النص يدل على أن للموت أجلاً معلومًا ووقتًا محددًا كما أن لكل شيء على الأرض وقتًا معلومًا وزمنًا محدودًا، وهذا مما يشترك فيه التصور الإسلامي مع ما في العهد القديم الحالي.

ثالثًا: ربط الموت بالخطية:

يشترك اليهود والنصارى في أن الخطية سبب الموت، ويفيض العهد القديم بالنصوص التي تربط بين الموت وبين خطيئة آدم عليه السلام.

ورد في سفر التكوين **«وأما ثمرة الشجرة التي وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا»** (٤) وورد في نفس السفر: **«وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعلمها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلًا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا، وأما شجرة معرفة للخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت»** (٥).

---

(١) المزايد: ٨٩ - ٤٨ .
(٢) المزايد: ٣١ - ٥ .
(٣) سفر الجامعة: ١٣ - ١٨ .
(٤) سفر التكوين: ٣ - ٢ .
(٥) التكوين: ١٥ - ١٨ .

ويشرح قاموس الكتاب المقدس النص السابق بقوله:

ليس المراد بذلك أنه يجرى حكم الموت في ذلك اليوم بعينه بل المراد أنه يكون على يقين من نزوله به، إنما في ذلك اليوم عينه أوقع عليها حكم الموت الروحي الذي هو البعد عن الله والانفصال عنه» (١).

وورد في سفر حزقيال الربط بين الموت والخطية **«النفس التي تخطئ هي تموت»** (٢) وورد في سفر حزقيال أيضًا **«وإذا رجع البار عن بره وعمل إثمًا وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا كل بره الذي عمله، لا يذكر في خيانته التي خانها، في خطيئته التي أخطأ بها يموت»** (٣)؟!

هذه النصوص وغيرها من النصوص التي لم نذكرها تربط بين الموت وبين الخطية ولسنا هنا في مجال مناقشة هذا الربط وبيان تهافته كما أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن علاقة الموت بالخطية عند النصارى.

ولا يقدم العهد القديم أي صورة عن حالة خروج الروح أثناء الموت بالنسبة لليهود كل ما ورد في الفكر اليهودي صورة ينقلها لنا «**سعديا الفيومي**» في كتاب الأمانات والاعتقادات عن حالة خروج روح اليهودي يقول: **«إن الآباء عرفونا أن الملاك الذي يبعث به الخالق ليفرق بينهما»** بين النفس والجسم **«يظهر للإنسان في صورة نار صفراء مملوءة عيونًا من نار زرقاء، وفي يده سيف مصلت يقصده به، إذا رآه كذاك انزعج وفرقت (٤) روحه جسمه»** (٥).

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٩٢٩ .

(٢) سفر حزقيال: - ٣٤ . (٣) سفر حزقيال: ١٨ - ٣٤ .

(٤) لعلها وفارقت حتى يستقيم المعنى.

(٥) الأمانات والاعتقادات ص ٣٠٣ تأليف سعديا الفيومي - طبعة ليدن ١٨٨٢ - وسعديا الفيومي يقول الدكتور النشار عنه: اعتبره مؤرخو الفكر اليهودي أنفسهم - من الأقدمين والمحدثين - من أعظم رجال الفكر اليهودي قاطبة إذا إنه كان أول العلماء الربانيين الممثلين لتاريخ اليهود الذين أقبلوا على استخدام العقل والبرهان لإقامة فلسفة يهودية أو لاهوت يهودي يستند على الكتاب والعقل معًا (الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ تأليف د. علي سامي النشار - والإسناد عباس الشربيني منشأة دار المعارف بالإسكندرية) .

obeikandl.com

ولعل تلك الصورة هي التي جعلت الحاخامات يتألمون ساعة الموت، وتبدو على وجوههم علامات الخوف والفزع من صورة هذا الملاك: **«وقد وردت أمثلة في التلمود عن كرب وتألم بعض الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم من الخلاص (النجاة) خائفين أن يلقى بهم في الجحيم»** (١).

وهذا ما يفسره لنا كراهية اليهود للموت وحرصهم على الحياة الدنيا.

يقول الله تعالى مخاطبًا اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥].

ويقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٦-٨].

ومن الأمور التي يشترك فيها اليهود مع المسلمين والنصارى: غسل الميت وتكفينه ودفنه.

يشترك اليهود مع المسلمين والنصارى في غسل الميت قبل الدفن، وأيضًا تكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته. ورد في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: **«جرت العادة بين اليهود وبقية القدماء كما في أيامنا هذه أن يغمض الأقارب عيني الميت** (٢)**، وأن يولولوا عليه ويتلوا عليه** (٣) **ويستمروا على ذلك أيامًا كثيرة بعد الدفن، وكانوا أيضًا يغسلون الجثة ويلفونها بأكفان من كتان ويربطون الرأس بمنديل** (٤)**، وكانوا يدهنون الجثة ويلفونها بالأطيان»** (٥).

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٨٥ نقلاً عن الأدب العبري.
(٢) سفر التكوين: ٤٦ : ٤ .
(٣) إنجيل يوحنا: ١١: ١٩: ٣١ : ٣٣ .
(٤) يوحنا: ٢: ٧ .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١، وانظر إنجيل لوقا: ٢٤: ١، إنجيل يوحنا ١٩: ٤ .

وإلى هذا نجد صورة قريبة جدًّا من التصور الإسلامي بالنسبة لغسل الميت وتكفينه ووضع الروائح الطيبة على جثته، ولكن سنجد صورة مختلفة تمامًا عما عند المسلمين والنصارى، فبينما نجد الرسول ﷺ يقول: **«المؤمن لا ينجس»** (١)، ونجد النصارى يعتبرون أن جسد المسيحي هيكل للروح القدس ويجب أن يحاط جسد المسيحي بالاحترام (٢)، بينما نجد هذا عند المسلمين والنصارى، نجد أن اليهود يعتقدون أن **«لمس الميت أول الدخول إلى الغرفة التي وضعت الجثة فيها منجسًا»** (٣) ولذلك جرت العادة بأن يدفن الميت بعد الموت بساعات قليلة (٤).

ولم يقدم اليهود قرابين على موتاهم للرحمة والمغفرة لهم. ورد في قاموس الكتاب المقدس أن اليهود **«لم يكونوا يقدمون القرابين من أجل الموتى، بل يظهر أن الشريعة الموسوية تنكر تقديم القرابين للموتى»** (٥).

وورد في نفس سفر التثنية ما يشعر بعدم جواز تقديم قرابين للأموات، يبدو هذا من تضرع اليهود أمام الله بأن محصولهم وزراعتهم قد أعطوا منها اليتيم والأرملة، ولم يأخذوا من حق الله المقدر فيها شيئًا لطعامهم ولا لمن لا يستحقها، ورد في سفر التثنية **«متى فرغت من تعشير كل عشور محصولك في السنة الثالثة سنة العشور وأعطيت اللاوى والقريب واليتيم والأرملة فأكلوا في أبوابك وشبعوا تقوم أمام الرب إلهك، قد نزعت المقدس من البيت، وأيضًا أعطيته اللاوى والغريب واليتيم والأرملة حسب كل وصيتك التي أوصيت بها، لم أتجاوز وصاياك ولا نسيتها، لم آكل من في حزنى، ولا أخذت منه في نجاسة، ولا أعطيت منه لأجل ميت، بل سمعت بصوت الرب إلهي، وعملت حسب كل ما أوصيتني»** (٦)، والنص واضح بأن تقديم القرابين للأموات لا يجوز.

---

(١) فتح الباري جـ ٣ ص ٩٩ .

(٢) انظر إيماننا الحي ص ٥١٨ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .

(٤) نفسه.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧١١ .

(٦) سفر التثنية: ٢٦ - ٣ - ١٥ .